African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 3, Issue 4, October - December 2024
Page No: 143-152
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2023: 1.25 **SJIFactor 2024: 6.856** **ISI 2024: 0.846**

الحنين إلى الوطن في شعر المرأة العربية حتى نهاية العصر الأموي

د. عبدالعاطي البراني محمود *
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بني وليد، ليبيا

Homesickness in Arab Women's Poetry until the End of the Umayyad Era

Dr. Abdulati Al-Brrany Mahmoud *
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Bani Waleed University, Libya

*Corresponding author brranimoathanas@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2024-08-30 **تاريخ القبول:** 2024-10-15 **تاريخ النشر:** 2024-10-21

الملخص

هذه الدراسة تهدف إلى استكشاف مظاهر الحنين إلى الوطن في شعر المرأة العربية حتى نهاية العصر الأموي. فالإنسان بطبيعته محب لبيئته ووطنه، وهو متمسك بهذا الوطن، يحن إليه، ويدافع عنه، ويبذل في سبيله كل غالٍ ورخيص، للذود عن حياضه، وهذا الحب، لم يكن مقتصراً على قوم دون آخرين، أو مجموعة من البشر دون أخرى، إنما كان عاماً مطلقاً لم يخل منه أيّ أدب حيّ، في تاريخ الفكر الإنساني.

والحنين إلى الوطن ظاهرة إنسانية عامة، لا يستطيع المرء التخلي عنها، مهما بلغ رقيه الحضاري، وتطوره المادي وسموه الروحي. ومنذ وجد الإنسان ذاته في وطن، بين أهل وأبناء، شعر بقوة الرابطة التي تربطه بهم، وبهذه البلاد التي شهدت خلقه وحياته، وكانت مسرحاً لتطوراته النفسية والفكرية.

وتتجلى مظاهر الحنين إلى الوطن في عدة جوانب منها الوصف العاطفي للمكان والشوق للأمان والاستقرار، وبسبب الحروب والتنقلات والفتوحات، شعرت النساء بالحنين إلى الوطن الذي يمثل لهن مصدراً للأمان والاستقرار. هذا الشعور بالقلق والاغتراب انعكس في قصائدهن التي حملت معاني الشوق للعودة إلى الحياة البسيطة والمستقرة.

ولم يكن الحنين مقتصراً على المكان فقط، بل شمل العلاقات الإجتماعية التي تربط المرأة بأسرتها وقبيلتها، فقد عبرت النساء عن الشوق للقاء الأهل والأصدقاء بعد فترات من الغياب، وكانت هذه العلاقات جزءاً هاما من نسيج قصائد الحنين.

ولم تكن المرأة في تلك الفترة بمعزل عن الأحداث السياسية، فبعض النساء كتبن قصائد حنين تعبر عن الشوق للوطن الذي فقدته بسبب الحروب أو الظروف السياسية القاسية، حيث كانت الأرض والوطن رمزاً للقوة والكرامة.

ومن المنطلق العام في حنين الإنسان لوطنه، رجلاً كان أو امرأة، أردنا أن نسلط الضوء على حنين المرأة العربية الشاعرة لوطنها وأهلها، وديارها، منذ صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، بما وجدنا في ثنايا المصادر والمراجع المتاحة.

الكلمات المفتاحية: الحنين، الوطن، العصر الأموي.

Abstract
This study aims to explore the manifestations of longing for the homeland in the poetry of Arab women until the end of the Umayyad era. Man, by nature, loves his environment and his homeland, and he is attached to this homeland, longs for it, defends it, and sacrifices everything precious and cheap for it, to defend its borders. This love was not limited to a people rather than others, or a group of people rather than another, but was general and absolute, and no living literature in the history of human thought was free of it.
Longing for the homeland is a general human phenomenon, which a person cannot abandon, no matter how advanced his civilization is, his material development and his spiritual sublimity. Since man found himself in a homeland, among his family and children, he felt the strength of the bond that connects him to them, and to this country that witnessed his creation and life, and was the stage for his psychological and intellectual development.
The manifestations of longing for the homeland are evident in several aspects, including the emotional description of the place and the longing for security and stability. Because of wars, movements and conquests, women felt longing for the homeland, which represents a source of security and stability for them. This feeling of anxiety and alienation was reflected in their poems, which carried meanings of longing to return to a simple and stable life.
Nostalgia was not limited to place only, but also included the social relationships that linked women to their families and tribes. Women expressed their longing to meet family and friends after periods of absence, and these relationships were an important part of the fabric of nostalgic poems.
Women in that period were not isolated from political events, as some women wrote nostalgic poems expressing longing for the homeland that they lost due to wars or harsh political conditions, as the land and homeland were a symbol of strength and dignity.
From the general standpoint of a person's longing for his or her homeland, whether male or female, we wanted to shed light on the longing of the Arab female poet for her homeland, her family, and her home, from the advent of Islam until the end of the Umayyad era, based on what we found in the available sources and references.

Keywords: Nostalgia, homeland, Umayyad era.

مقدمة البحث:
تتضمن لمحة عامة عن البحث وأهميته، والدوافع وراء اختيار الموضوع، وإشكالية البحث، وأهدافه ومنهجيته، والمباحث التي سوف يتناولها، ثم أهمية البحث.

1-التقديم العام للموضوع:
يعتبر الحنين إلى الوطن واحداً من الموضوعات البارزة التي تطرقت إليها مختلف الأجناس الأدبية على مر العصور، حيث يعكس ارتباط الإنسان بمكان نشأته وحنينه إلى جذوره وأرضه، وقد ظهرت هذه المشاعر في الأدب العربي القديم، لاسيما في الشعر. ولقد تميزت المرأة العربية بإحساس مرهف وشعور عميق تجاه الوطن، ما جعلها تعبر عن الحنين لأرضها بطرق مختلفة في أشعارها.
ونظراً لعدم تغير المرأة واستمرار عواطفها على الوتيرة ذاتها من جهة، وعدم التمكن من فرز الشواعر حسب التسلسل الزمني، فإننا آثرنا أن نجعل موضوع المرأة دون تمييز بين الجاهليات، والإسلاميات لعدم تصريح المصادر موضع الدراسة بالزمن الذي عاشت فيه هؤلاء الشواعر.

2-الدوافع وراء اختيار الموضوع
هناك أسباب عديدة لاختيار هذا الموضوع، وأهمها الدافع الشخصي الأكاديمي، الذي يدفعنا لاختيار مثل هذه المواضيع التي لها علاقة بحب الأوطان.

3-**إشكالية البحث**: هناك أسئلة حاول البحث الإجابة عنها وهي: هل يختلف تعبير المرأة عن الحنين إلى الوطن في شعرها عن تعبير الرجل؟ وكيف كان يُنظر إلى مفهوم الوطن من قبل الشاعرات العربيات؟ وكيف عبرت المرأة العربية في العصر الأموي عن مشاعر الحنين إلى الوطن في شعرها؟ وماهي العوامل الاجتماعية والسياسية التي أثرت في صياغة هذه المشاعر؟ وماهي السمات الأدبية والموضوعات التي تميز بها هذا الحنين في شعر المرأة مقارنة بالرجل في نفس الفترة؟

4- **أهداف البحث**:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف مظاهر الحنين إلى الوطن في شعر المرأة العربية حتى نهاية العصر الأموي.

وتتجلى هذه المظاهر في عدة جوانب: الوصف العاطفي للمكان: حيث عبرت النساء في قصائدهن عن مشاعرهن تجاه الأماكن التي نِشأن فيها، مثل الصحراء، الواحات، والبيوت القبلية، وكان لهذه الأماكن دور كبير في تشكيل هويتهن وشخصياتهن، فأصبحن يعبرن عن الشوق لها وللذكريات المرتبطة بها.

الشوق للأمان والاستقرار: بسبب الحروب والتنقلات والفتوحات، شعرت النساء بالحنين إلى الوطن الذي يمثل لهن مصدراً للأمان والاستقرار. هذا الشعور بالقلق والاغتراب انعكس في قصائدهن التي حملت معاني الشوق للعودة إلى الحياة البسيطة والمستقرة.

ولم يكن الحنين مقتصراً على المكان فقط، بل شمل العلاقات الإجتماعية التي تربط المرأة بأسرتها وقبيلتها، فقد عبرت النساء عن الشوق للقاء الأهل والأصدقاء بعد فترات من الغياب، وكانت هذه العلاقات جزءاً هاما من نسيج قصائد الحنين.

ولم تكن المرأة في تلك الفترة بمعزل عن الأحداث السياسية، فبعض النساء كتبن قصائد حنين تعبر عن الشوق للوطن الذي فقدته بسبب الحروب أو الظروف السياسية القاسية، حيث كانت الأرض والوطن رمزاً للقوة والكرامة.

ومن خلال هذه المظاهر يظهر شعر المرأة العربية في هذه الفترة كمرآة تعكس مشاعرها العميقة تجاه الوطن، وهو تعبير صادق عن ارتباطها بالأرض والهوية، رغم التغيرات التي شهدتها حياتها.

5-**منهجية البحث:**

اقتضت طبيعة الدراسة أن تعتمد على المنهج الوصفي، لمعرفة الفرق بين تعبير المرأة عن الحنين إلى الوطن في شعرها عن تعبير الرجل، وكيف كان يُنظر إلى مفهوم الوطن من قبل الشاعرات العربيات؟

ويساعدنا المنهج الوصفي كذلك في معرفة الأسلوب الذي عبرت به المرأة العربية في العصر الأموي عن مشاعر الحنين إلى الوطن في شعرها، وتتبع العوامل الاجتماعية والسياسية التي أثرت في صياغة هذه المشاعر، والسمات الأدبية والموضوعات التي تميز بها هذا الحنين في شعر المرأة مقارنة بالرجل في نفس الفترة؟

6- **تقسيم البحث**:

وقد جاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحنين إلى الوطن من منظور أدبي، مكانة الحنين إلى الوطن في الأدب العربي القديم، والعوامل التي أدت إلى بروز هذا الموضوع في الشعر العربي.

المبحث الثاني: صورة الوطن في شعر المرأة العربية في العصر الأموي.

المرأة العربية والشعر: دور المرأة في الشعر العربي خلال العصر الأموي وكيف كانت تعبر عن مشاعرها تجاه الوطن؟

المبحث الثالث: أثر الحنين إلى الوطن في تشكيل الهوية الشعرية للمرأة في العصر الأموي.

المبحث الرابع: الحنين إلى الوطن في شعر المرأة الأموي.

7_**الإطارالزمني والمكاني**: يتناول هذا البحث فترة زمنية معينة، وهي شعر المرأة العربية في الحنين إلى الوطن حتى نهاية العصر الأموي.

8-أهمية الموضوع: يُعد الحنين إلى الوطن كموضوع أدبي وجداني في الشعر العربي، خاصة عند النساء، من أبرز الموضوعات التي تناولها الشعر العربي منذ الجاهلية وحتى العصر الأموي، وكان للمرأة العربية نصيب كبير في التعبير عن هذا الشعور في قصائدها.
يحمل الحنين إلى الوطن في شعر المرأة العربية دلالات وجدانية عميقة، فهو يُظهر ارتباطها العميق بجذورها وبيئتها التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من هويتها الشخصية والثقافية.
ومن خلال شعر المرأة في تلك الفترة، نستطيع أن نتلمس مشاعرها وهي تعبر عن الشوق إلى ديارها، خاصة في ظل ظروف اجتماعية وسياسية قد تكون أدت إلى ابتعادها عن وطنها سواء بسبب الحروب أو الزواج أو التنقل. فالمرأة كانت تجسد في شعرها المعاناة التي تعيشها نتيجة للبعد عن الأرض والأسرة.
وشعر الحنين إلى الوطن يعكس هوية المرأة وارتباطها القوي بالأرض والمكان. فالمرأة العربية حتى نهاية العصر الأموي كانت تعبر عن تعلقها بجذورها وافتخارها بالانتماء إلى بيئتها القبلية أو الحضرية وهذا الانتماء يتجلى في الوصف الدقيق للطبيعة والأرض والأماكن التي شكلت جزءاً من ذاكرتها ووجدانها.
كما تتجلى أهمية هذا الموضوع في الجانب السياسي والاجتماعي: فالفترة الممتدة حتى نهاية العصر الأموي شهدت تغيرات سياسية واجتماعية كبيرة أثرت على حياة العرب بما في ذلك المرأة، فالتنقلات والهجرات الناجمة عن الفتوحات والحروب وتبدل الأحوال الإجتماعية، انعكست في شعر المرأة الذي أصبح وسيلة للتعبير عن الشوق للأمان والاستقرار الذي كانت توفره الأرض والوطن.
المبحث الأول: مفهوم الحنين إلى الوطن من منظور أدبي، مكانة الحنين إلى الوطن في الأدب العربي القديم، والعوامل التي أدت إلى بروز هذا الموضوع في الشعر العربي.
الحنين في الأدب الجاهلي والإسلامي: نظرة عامة على وجود الحنين إلى الوطن في الأدب العربي قبل الإسلام واستمراره في العصر الأموي.
أصل كلمة الحنين في اللغة من الجذر "حنّ" وهو الشوق والاشتياق إلى مكان نشأ فيه الإنسان أو عاش فيه لفترة طويلة يُعبر عن الرغبة في العودة إلى موطنه الأصلي بسبب ارتباطه العاطفي به، وحنَّ إليه أي نزع إليه، وحنَّت الإبل: نزعت إلى أوطانها أو أولادها، والحنانُ: الرحمة والعطف[1]، وقوله تعالى" وآتيناه الحكم صبيا وحناناً من لدُنَّا"[2].
أمّا في الاصطلاح: حنّ إلى اشتاق إلى[3] ؛ فالحنين إلى الوطن يشير إلى مشاعر الحزن والاشتياق العميق التي يشعر بها الفرد تجاه وطنه عندما يكون بعيداً عنه، ويتجاوز هذا المفهوم البعد الجسدي ليشمل المشاعر المرتبطة بالعادات والتقاليد، والحنين كتجربة نفسية وشعورية مرتبطة بالغربة والبعد عن الموطن.

مكانة الحنين إلى الوطن في الأدب العربي القديم: الحنين إلى الوطن هو موضوع بارز في الأدب العربي القديم، ويعكس ارتباط العرب بالأرض والجذور. كانت البيئة الصحراوية القاسية والتنقل المستمر أحد الأسباب التي جعلت مفهوم الوطن يحتل مكانة مهمة في نفوس الشعراء والأدباء العرب.
في الأدب الجاهلي نجد الحنين إلى الوطن واضحاً في ما يعرف بـ الوقوف على الأطلال، حيث يبدأ الشعراء قصائدهم بوصف الأماكن التي كانوا يسكنون فيها والتي هجروها، ويصورون مشاعر الحنين لهذه الأماكن التي أصبحت أطلالاً خالية.
وفي الأدب الإسلامي، أخذ الحنين إلى الوطن طابعاً روحياً، حيث تناول الشعراء فكرة الوطن ليس فقط باعتباره المكان الجغرافي، بل أيضاً كرمز للمكان الذي يجد فيه الإنسان طمأنينته وسعادته.

---

[1] . خليفة التليسي، معجم النفيس، 545/1.
[2] . من سورة مريم، آية13.
[3] . المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت – لبنان، ط1، 2000م، ص338.

ولقد برز موضوع الحنين إلى الوطن في الشعر العربي بسبب مجموعة من العوامل التاريخية والاجتماعية والنفسية التي أثرت في الشعراء والأدباء على مر العصور ومن بين هذه العوامل البيئة الصحراوية والتنقل المستمر والهجرة والنفي والتحولات السياسية والاجتماعية والحس القبلي والعشائري والبعد عن الأهل والعائلة والظروف الاقتصادية والأمان والاستقرار.

المبحث الثاني: صورة الوطن في شعر المرأة العربية في العصر الأموي

دور المرأة في الشعر العربي خلال العصر الأموي، وكيف كانت تعبر عن مشاعرها تجاه الوطن؟.

كان دور المرأة في الشعر العربي خلال العصر الأموي بارزاً إلى حدٍ ما، حيث ظهرت بعض النساء اللواتي أبدعن في مجال الشعر وعبرن عن مشاعرهن بأنماطٍ مختلفة، ومع أن الشعراء الذكور كانوا الغالبية، إلا أن النساء أيضاً ساهمن في الأدب والشعر، وعبرن عن مشاعرهن تجاه الوطن والحياة اليومية.

فقد كانت المرأة في العصر الأموي تعبر عن مشاعر الحب والشوق بأسلوبٍ صريح، حيث نرى في الشعر الأموي قصائد الحب، وكانت الشاعرة الأموية تُظهر مشاعرها بشكل صادق وصريح، وتستخدم لغة مليئة بالعاطفة والشوق، سواء للحبيب أو للوطن.

وكانت تعبر عن فخرها بنسبها وقبيلتها، وقد وردت قصائد تعكس هذا الفخر والانتماء إلى القبيلة، الذي كان جزءاً لا يتجزأ من الهوية العربية في ذلك الوقت، وكانت المرأة في العصر الأموي مرتبطة بالأرض التي نشأت فيها، وأظهرت في شعرها شوقاً للوطن عندما تبعد عنه بسبب الحرب أو الهجرة، ومن الشاعرات الشهيرات في هذا المجال الخنساء، رغم أنها عاشت في الجاهلية إلا أنها واصلت شعرها في بداية العصر الأموي، كانت تعبر عن مشاعرها تجاه الوطن والأهل، ولكن حنينها كان أيضاً ممزوجاً بالحزن على فقدان إخوتها في المعارك.

وكانت الشاعرة الأموية تبرع بشكل خاص في شعر الرثاء، حيث عبرت الكثير منهن عن مشاعر الحزن والفقد تجاه الوطن أو الأحبة، فهو الوسيلة للتعبير عن الحنين إلى الماضي، والتعريف بقضاياهن ومشاعرهن تجاه الأحداث التي كانت تدور حولهن.

ونجد في بعض أشعار الشاعرة العربية الشهيرة الخنساء إشارات إلى الحنين والشوق، سواء للوطن أو للأحبة الذين فقدتهم، ومن أشعارها من بحر الوافر:

يؤرقني التذكر حين أمسي فأصبح قد بُليتُ بفرط نُكسِ

على صخرٍ وأيُّ فتى كصخرٍ ليوم كريهة وطعان حلسِ

إلى أن تقول:

فقد ودعت يوم فراق صخرٍ أبي حسّان لذّاتي وأنْسي

فيا لهفي عليه ولهف أمّي أيصبح في الضريح وفيه يمسي

المبحث الثالث: أثر الحنين إلى الوطن في تشكيل الهوية الشعرية للمرأة في العصر الأموي.

كيف أثرت الظروف السياسية والاجتماعية في العصر الأموي على أشعار النساء المرتبطة بالحنين؟

دراسة تأثير الحنين إلى الوطن في تشكيل هوية المرأة الشاعرة .، وكيف استخدمت بعض الشاعرات الحنين إلى الوطن كأداة للتعبير عن معاناتهن ؟.

كان الحنين إلى الوطن موضوعاً بارزاً في الشعر العربي القديم، حيث عبر الشعراء عن شوقهم إلى ديارهم وحنينهم إلى الحياة التي عاشوها في موطنهم، وقد برزت هذه المشاعر في عدة مظاهر وأشكال في الشعر العربي القديم، منها: البكاء على الأطلال والشوق إلى الحياة البدوية والتغني بالمكان وذكرياته والفخر بالانتماء للوطن، وكثير من الشعراء كانوا يرحلون بعيداً عن أوطانهم، إمّا بسبب البحث عن الرزق أو بسبب ظروف الحرب.

والآن نحلل جمهرة من القصائد التي وقعت بين أيدينا مما يدلل على صحة الآراء التي أثبتناها في مطلع هذه الدراسة.

هذه رامة بنت حصين الأسدية [4]، يلومها الحضر إذ تساكنهم على حنينها المتكاثر إلى نجد، فتعجب أن تلام على حنينها وترى كل شيء تساكنه يذكرها بنجد ويزيد حنينها إليه، فترى ريح الجنوب تذكرها به وهي تحمل إليها الرائحة من هناك، وترى البرق يهيجها حين يلمع، كأنه يلمع من نواحي نجد، ثم يأخذها الحنين فتذكر أخص ما يهيجها من نجد، تتذكر الخوّ، وتذكره وهو ممرع، مثمر الشجر، وتتذكر صوت المكاكي وقد تردد صدى صوته بعد منتصف الليل، وسمعه الأرق السهران، فانظر إلى ذكرها الأرق، والسهر بعد منتصف الليل، فهو دليل على ما تعانيه من تلك الحالة التي تعيشها فتقول[5] من بحر(الطويل):

ألامُ على نجد ومن يكُ ذا هوى يهيجه للشوق شيءٌ يرابعه

تُهجْه الجنوبُ حين تغدو بنشرها يمانيةٌ والبرق إن لاح لامعه

ومن لامني في حبِّ نجدٍ وأهله فلم على مثلي وأوعب جادعُه

وخوٌّ إذا خوٌّ سقته ذهابه وأمرع منه تينه وربائعه

وصوت مكاكي تجاوب موهناً من الليل من يأرق له فهو سامعه

ولم تستطع رامة بنت الحصين أن تنسجم مع الحضر، لذلك نجدها تتمنى أن تعود إلى موطنها، وهي تأسى لأنها تبدلت من نجد وساكنه أرضاً بها يزقو الديك وتمور السنانير وهذا شيء غريب عليها فتقول [6]:

ياليت شعري وليت أصبحت غصصاً هل أهْبطنَّ قريةً ليست بها دورُ

لقد تبدلت من نجـــد وساكنـــه أرضاً بها الديك يزقو والسنـــانيرُ

وماجدة البكرية، تخاطب جبال الفور، وتطلب منها أن تخلي بينها وبين الصبا لأنها طالما حالت ذراها بينها وبين ذرى نجد تلك البلاد التي فيها وطنها وأهلها وعشيرتها فتقول[7]:

ألا ياجبال الفور خلتن بيننا وبين الصَّبا يُجري علينا شنينها[8]

لقد طال ماجالت ذراكنّ بيننا وبين ذرى نجد فما نستبينها

وزينب أم حسانة الضبية تتزوج فيحملوها من البادية إلى الحضر، وتُسأل يوماً: أليس هذا الحضر أطيب مما كنت فيه في البادية؟ فتنكر ذلك، وتفضل مظاهر البداوة الخشنة، ورياح نجد على حياة الحضر وملاعبه، وتقسم أنها مهما طال بها المدى، فلن تنسى أبداً ديارها في البادية، وذكرياتها في نجد، فتقول[9] (بحر الطويل):

أقول لأدنى صاحبيَّ أُسرُّه وللعين دمعٌ يحذر الكحل ساكبه

لعمري لنهرٌ باللوى نازح القذى نقيُّ النواحي غير طرق مشاربه

أحبُّ إلينا من صهاريج مُلّئت للعبٍ ولم تملح لدىَّ ملاعبه

---

[4] . هي شاعرة عربية قديمة تُنسب إلى قبيلة بني أسد، ولكن لا توجد معلومات وافية عنها في المصادر.

[5] . ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1955م، 211/4.

[6] .عبد البديع صقر، شاعرات العرب، منشورات المكتب الإسلامي- دمشق، 1967م، ص127.

[7] . ياقوت الحموي، معجم البلدان 417/2.

[8] . جبال الفور تقع في إقليم دارفور غرب السودان.

[9] . عبد السلام هارون، رسائل الجاحظ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1965م، 398/2.

وريحُ صبا نجد إذا ماتنسمت ضحى أو سرت جُنحُ الظلام جنائبُه

فيا حبذا نجد وطيبُ ترابه إذا هضبنه بالعشيّ هواضُبه

وأقسم لا أنساه مادمت حيةً ومادام ليلٌ من نهار يعاقبه

ولازال هذا القطرُ يسفر لوعة بذكراه حتى يترك الماء شاربه

وبلغ الحنين عند المرأة أوجهه، حين تُجبر كرها على الخروج من دارها، خاصةً حين تكون أمةً تباع وتُشترى، فيقول ياقوت في معجمه [10]: إن هشام بن الوليد حدّث عن أبيه قال: خرج قوم من مكة نحو الشام، وكنتم فيهم فبينما نحن نسير في بلاد الأردن من أرض الشام، إذ رفع لنا قصر، فقال بعضنا لبعض: لو ملنا إلى هذا القصر، فأقمنا بفنائه حتى نستريح، ففعلنا، فبينما نحن كذلك، إذ انفتح باب القصر، وانفرج عن امرأة مثل الغزال العطشان، فرمقها كل واحد منا بعين وامق، وقلب عاشق، فقالت أي القبائل أنتم، ومن أي البلاد؟ قلنا نحن أضاضيم من هنا وهناك، فقالت: أفيكم من أهل مكة أحد؟ قلنا: نعم، فأنشأت تقول [11]:

من كان يسأل عنا: أين منزلنا فالاقحوانة منا منزلٌ قمنُ

وإنّ قصري هذا مابه وطني لكن بمكة أمسى الأهل والوطنُ

إذ نلبس العيش صفواً مايكدره قولُ الوشاة، وما ينبو به الزمنُ

من كان ذا شجن بالشام ينزله فبالأباطح أمسى الهمُّ والحزنُ

ثم شهقت وخرّت مغشياً عليها، فخرجت عجوز من القصر، فنضحت الماء على وجهها وجعلت تقول [12]:

في كل يوم لك هذا مرات تالله للموت خير لك من الحياة

فقلنا: أيتها العجوز، ما قصتها؟ فقالت: كانت لرجل من أهل مكة، فباعها فهي لاتزال تنزع إليه حنيناً وشوقاً.

أرأيت كيف ترفض العيش في القصر العظيم لأنه ليس وطنها، وإنما وطنها في مكة حيث الأهل والأحباب، وحيث الديار التي نشأت فيها، وحيث العيش صفو لا كدر به، إنّه الوطن، وأنه الحنين الطاغي إليه.

وتفصح إحدى النساء، حين تتزوج وتحن إلى وطنها، عن السبب الذي حداها إلى الحنين، ذلك أنها مرتبطة بأمها، وبشيء آخر لا يقل عن أمها حباً وتقديراً، وهو ماء أبضع وضبيع، وهي مياه في ديارها ووطنها، فتتمنى من هذه المياه، شربة تروي بها ظمأها، وتطفئ نار شوقها وحنينها، فتقول [13]:

ألا ليت لي من وطبِ أمي شربةً تُشاب بماءٍ من ضبيعٍ وأبضع[14]

وتقول إحدى النساء، وقد انتقلت إلى الشام، حين زوجها عمها رجلاً شامياً، فلا تستطيع أن تتخذ موقفاً من ديارها إلا الحنين إليها، وماذا بيدها أن تفعل وعليها أن تنتقل إلى الشام بصحبة زوجها،

---

[10] . ياقوت الحموي: معجم البلدان: 224/1.
[11] . ياقوت الحموي، معجم البلدان،225/1.
[12] . المصدر السابق: 225/1.
[13] . المصدر السابق، 73/1.
[14] . لفظ" وطب" يعني القربة أو الوعاء المصنوع من جلد الحيوان الذي يُستخدم لحفظ السمن أو اللبن، معجم النفيس، مادة وطب،2494/4.

فتخاطب خليليها، وتصفهما بأنهما موضع ثقتها، فهي تدعو بالسقيا لبلادها، لأنها تحبها، وتحب ساكنها، كما أنها تتمنى أمنية أبعد من هذه، ألا وهي تتبدل من عمها بعمٍ آخر، لأنه هو السبب فيما جرى لها. وتتمنى أن تتبدل بأبناء عمها بغيرهم من الموالي، فكأنهم رفضوا الزواج منها وإبقائها في وطنها بين أهلها وعشيرتها، تقول هذا رغم أنها- فيما يبدو_ تحب زوجها الشامي، إلا أنها أكثر حباً لوطنها منه، فتقول [15]:

ألا ياخليليّ اللذين أراهما ذوي ثقتي من دون من كان حافيا

سقى الله – والسقيا إليه – بلادنا بحزم قناوين الذّهاب الغواديا

بلادُ جميعٍ والعظيم أُحبُّهم وإن كنتُ قد أيقنت ألاّ تلاقيا

ألا ليت لي عماً بعمي وليت لي مكان بنيه من معدٍّ مواليا

أناساً إذا خافوا عليّ ظلامةً وضيماً أحاطوا بالقنا من ورائيا

فلا بارك الرحمن في وجه حُرّةٍ يمانيةٍ بعدي تُحبُّ شامياً

وتخاطب أسماء المرية جبلي نعمان، أن يخليا نسيم الصَّبا يصل إليها، لأن نسيم الصَّبا إذا هب على قلب محزون، يتخلى عن همومه، وحزنه، كما أنها تجد لها برداً، وتشفى حرارة كبدها، ثم تتجه إلى جبلي عويصره أن يتركا الجنوب تمر، لعل هذه الجنوب تداوي علتها، ولكن كيف تداوي الريح الشوق المماطل، والعين التي طال سجام دموعها؟ وانظر إلى ما يتركه قولها" أنها غريبة" من أثر في النفس، ودلالة عما تعاني من تلك الغربة، من شوق وحنين إلى أهلها ووطنها، أنها مقطعة الأحشاء من جوى الهوى، ومن تباريح الشوق الذي يعكف عليها، فتقول [16]:

أياجبلي نعمان بالله خلِّيا نسيم الصَّبا يخلُصْ إليَّ نسيمها

فإنَّ الصَّبا ريحٌ إذا ماتنفَّست على قلبِ محزونٍ تجلّت همومها

أجد بردها أو تشف مني حرارةً على كبدٍ لم يبق إلا صميمُها

أيا جبلي وادي عريعرة التي نأت عن نوى قومي وحُمَّ قدومها[17]

ألا خلّيا مجرى الجنوب لعله يداوي فؤادي من جواه نسيمها

وكيف تداوي الريحُ شوقاً مماطلاً وعيناً طويلاً بالدموع سجومها

وقولاً لركبان تميميةٌ غدت إلى البيت ترجو أن تحُطّ جُروحها

بأنَّ بأكناف الرغام غريبةٌ مولهةٌ ثكلى طويل نئيمها

مقطعةٌ أحشاؤها من جوى الهوى وتبريح شوقٍ عاكف مايريمها

---

[15] . أسامة بن منقذ- المنازل والديار – تحقيق مصطفى حجازي_ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1918/ : 249

[16] . عبد البديع صقر، شاعرات العرب: ص8.

[17] . يقال إن عريعرة نخل لبني ربيعة باليمامة، معجم البلدان، الحموي، 115/4.

المبحث الرابع: الحنين إلى الوطن في شعر المرأة الأموي

تمتاز المرأة برقة الإحساس، ورهافة الشعور، وقد انعكست هذه العواطف والانفعالات، على سلوكها اليومي، وإنتاجها الفكري. ولما كان الشعر هو المترجم الحقيقي لما في نفس قائله من عواطف وانفعالات، فقد جاء شعر المرأة رقيقاً سهلاً، يحمل جوانب كثيرة مما تتركب منه طبيعتها، فهي ضعيفة إذا ماقيست بالرجل، كثيرة البكاء، شديدة الحزن إذا مافُجعت بفقد حبيب أو قريب، حريصة كل الحرص، على البقاء عند أهلها، وبالقرب منهم، نافرة، رافضة للبعد عنهم، قاصرة عن القيام بسبل القتال والغزو، مبتعدة عن الفحش والهجاء والسباب لأسباب ذاتية، أهمها: الحياء والحشمة والعفة.

والمرأة تحمل هذا كله، مختارة تارة، مجبرة أخرى. وربما كانت هذه العوامل، هي التي أدت إلى أن يسير شعر المرأة في لون واحد تقريباً وهو الرثاء والحزن والبكاء، وكانت هي السبب في أن يكون هناك تشابه كبير بين أشعار كثير من النساء، لدرجة أن المرحوم عباس محمود العقاد قال:" فمن الجائز أن تجمع شعر النساء كله في ديوان واحد، وتخلط بعضه ببعض، ولا يرى فيه القارئ ما يمنعه أن يقول: إنه ديوان شاعرة واحدة، فهي أنوثة واحدة تكاد أن تتلبس بشخصية واحدة عن سليقة واحدة"[18].

وقال العقاد في مكان آخر: " ففي رثاء المرأة" أنثى" واحدة تسمع منها عوله الجنس الأنثوي على وتيرة مشابهة، وتستطيع بغير جهد أن تخلط بين عشرين قصيدة، لعشرين شاعرة، فلا ترى بينها ما يضطرك إلى استغراب هذا الخلط بين عباراتها ومعانيها، ولكنك تشعر بهذه الغرابة إذا خلطت بين قصائد ثلاث في موضوع واحد من موضوعات الرثاء، التي ينظمها الشعراء الرجال" [19].

وربما كانت هذه العوامل، هي السبب في قلة شعر النساء، أو قلة ما وصلنا من شعرهن على أقل تقدير. إذ أن الرواة، اهتموا بحفظ الشعر الذي كثر فيه الغريب، أو الذي فيه المدح، والفخر بالقبيلة، والذم، والهجاء لخصومها، أو ما يتصل بالحروب، والغارات، والحماسة، أو بما فيه الفحولة والجزالة، وشعر النساء خلو من هذه المميزات، التي امتلأت بها كتب المختارات الأولى من الشعر، كالمعلقات التي اختارها حماد الراوية، وجمهرة أشعار العرب للقرشي والمفضليات للمفضل الضبي، والأصمعيات للأصمعي، إذ جاءت هذه الكتب خالية من شعر النساء إلا فيما ندر[20].

ولئن كان الرجل يحن إلى وطنه، وعشيرته وأهله، فيقف على ديارهم وأطلالهم، يبكي ويستبكي بصدقٍ حيناً وتكلف حيناً آخر؛ فإن المرأة أعنف شعوراً بالحنين إلى الوطن، رغم أنها لم تقف على الأطلال، والمرأة أرق عاطفة وأرهف إحساساً من الرجل، لذلك طاف حنينها إلى وطنها وأهلها حنيناً مليئاً باللوعة والأسى، وذلك بفعل عوامل كثيرة، مردها الأول والأخير، رهافة حسّها، ورقة عاطفتها.

ففي جميع النصوص موضع الدراسة، نلحظ أن المرأة تحن إلى الوطن، مفضلة إياه على الزوج وعلى الديار التي تسكنها معه. ونلحظ خلو شعر النساء خلواً تاماً من ظاهرة ذم الأوطان، والدعوة إلى الاغتراب، وإن وجدت هذه الظاهرة في شعر بعض الرجال. وذلك مما يوضح لنا أن المرأة أشد من الرجل في عمق اتصالها بوطنها وإحساسها الملتاع بالغربة، في حين يدعو الرجل من آن لآخر إلى الغربة عن الوطن وهجره، ولعل مرد موقف المرأة هذا يعود بالدرجة الأولى، إلى قوة الرابطة التي تشدها بوالديها، وعائلتها وعشيرتها. ففي الوقت الذي تعوّد فيه البدوي الهجرة عن وطنه، سعياً وراء العشب، أو التجارة، أو الحروب، أو الفتوح، كانت المرأة أقل منه مشاركة في هذه الحياة العامة، فلا غرو أن يشتد حنينها، وتعمق عواطفها، وترتبط ارتباطاً قوياً بوطنها.

وقد أشار الدكتور أحمد محمد الحوفي إلى الحنين إلى الوطن عند المرأة، وأشار إلى قوته وعنفه، لكنه عند عاطفتها وعاطفة الرجل سواء في هذا الحنين[21].

وبينما نرى أن الرجل – بعد ظهور الإسلام- قد انشغل نوعاً ما بالفتوحات، وبتعاليم الدين الجديد، نرى أن النساء مع مساهمة قسم منهن في الحياة العامة، إلا أنهن، في الغالب، لم يتغيرن تغيراً كبيراً، إذ بقيت عواطفهن هي هي، من حيث ارتباطها بعائلتها، أبيها وأمها وأخوتها، والوطن الذي يعيشون فيه، والذي

---

[18] . عباس محمود العقاد، بين الكتب والناس، مطبعة مصر، 1952م، ص74.

[19] . المصدر السابق، ص75.

[20] . ينظر: أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ط:2، مطبعة المدني، القاهرة، ص606.

[21] . ينظر: أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ط:2، مطبعة المدني، القاهرة، ص650.

كانت تعيش معهم فيه. كما ظلت المرأة هي هي، من حيث رقة عواطفها، وعمق شعورها، وارتباطها بطفولتها وشبابها، لذلك كان من العسير عليها، إن لم يكن من المستحيل أن تنسجم مع الحياة الجديدة، التي تختلف اختلافاً كلياً عن حياة البادية ذلك حين ينتقل بها زوجها إلى القرى والأرياف، والحواضر، فيشتد وجيب قلبها، ويشتعل حنينها، كلما سمعت هديل الحمام، أو مرّت عليها نسيمات الريح، أو كلما لاح لناظريها البرق المتلألئ في السماء من ديارها.

خاتمة البحث:

بعد عرض موجز عن الحنين إلى الوطن في شعر المرأة العربية حتى نهاية العصر الأموي، يتضح أن هذه المشاعر العميقة والممتزجة بالحب والولاء للوطن قد تجلت بقوة في أشعار النساء خلال هذه الفترة الزمنية. ولقد عكست الشاعرات من خلال قصائدهن الحنين إلى الأماكن والأهل، كما عبرن عن الحنين بصور أدبية ثرية وأسلوب مؤثر يعكس مكانة الوطن في وجدانهن.

لقد تأثرت أشعارهن بالأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدها المجتمع العربي في ذلك الوقت، وهو ما أثرى موضوع الحنين وعمق من تناوله في الأدب.

ومن خلال هذا الحنين، قدّمت الشاعرات تجاربهن الشخصية والتعبير عن أحاسيس الفراق والغربة، مما ساهم في إثراء الأدب العربي في هذه المرحلة.

لذلك نجد أن المرأة العربية استطاعت أن تثبت أصالة مساهمتها في الأدب العربي، فهي لم تكن فقط مقلدة للرجل في شعر الحنين، بل أبدعت في التعبير عن مشاعرها بأسلوب خاص يتماشى مع طبيعتها العاطفية وتجربتها الفريدة.

ويمكن القول إن موضوع الحنين إلى الوطن كان وسيلة للتعبير عن مشاعر معقدة تجمع بين الحب والحنين والمعاناة والهوية.

وخلاصة القول إن الحنين إلى الوطن في شعر المرأة العربية كان تعبيراً صادقاً عن تجاربهن الحياتية وتفاعل مع الأحداث الكبرى في تلك الفترة، ما منح هذا النوع من الشعر أهمية خاصة في دراسة الأدب العربي القديم.

المصادر والمراجع:

1- أحمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المدني، القاهرة، ط2.
2- أسامة بن منقذ، المنازل والديار، تحقيق مصطفى حجازي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1968م.
3- خليفة محمد التليسي، معجم النفيس، الدار العربية للكتاب، طرابلس- تونس.
4- عباس محمود العقاد، بين الكتب والناس، مطبعة مصر، 1952م
5- عبد البديع صقر، شاعرات العرب، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، 1967م.
6- عبد السلام هارون، رسائل الجاحظ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1965.
7- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مجموعة من المؤلفين، ط1، دار المشرق، بيروت – لبنان،2000م.
8- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،1955م.